لانه آمن من تعذر مطلوبه وامن من زوال محبوبه واما من كان مشتغلا بحب غير الله
كان ابدا في الم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا
ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين بخدمته فلنحيينه حياة طيبة وقيل
المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب بعذاب الاستيصال كما استاصل اهل القرى
الذين كفروا وسمي جنه وتعالى منافع الدنيا بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها
وقلتها ونبه تعالى على انها منقضية بقوله تعالى الى اجل مسمى فصارت هذه
الاية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية واما المنافع الاخروية فقد ذكر
تعالى بقوله تعالى ويؤت اي في الاخرة كل ذي فضل اي في العمل فضله اي جزاءه
لان مراتب السعادة في الاخرة مختلفة لانها مقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة
في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير
متناهية فكذلك مراتب السعادات الاخروية غير متناهية فلهذا السبب قال
تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله وقال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت
درجاته في الاخرة وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة
ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت له
سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في
الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقي له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب احاده
اعشاره وقوله تعالى وان تولوا فيه حذف احدى التائين اي وان تعرضوا
عما جئتم به من الهدى فاني اي فقل لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو
يوم القيامة وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل وقيل هو يوم الشدائد
وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف الى الله مرجعكم اي رجوعكم في ذلك اليوم
فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهو على كل شيء قدير اي
قادر على جميع المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب
والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة عالية وجلالة عظيمة لهذا الحاكم
وعلى ضعف لهذا العبد والملك القاهر العالم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه
يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ملكت فاسجح اي فاعف يقول مصنف
هذا الكتاب قد افنيت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لي
في شيء الا اني في غاية الذلة والقصور والكريم اذا اقدر عفى فاسالك
يا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وساتر عيوب المعيوبين ان تفيض
سجال رحمتك علي وعلى والدي واولادي واخواني واحبابي وان تخصني واياهم
بالفضل والتجاوز والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى الا انهم
يثنون صدورهم فقال ابن مسعود نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا

حلو الكلام

حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره
فمعنى قوله يثنون صدورهم يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة وقال عبد الله
ابن شداد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره
وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا
يحنون ظهورهم كي لا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخاري عن ابن عباس
انها نزلت فيمن كان يستحيي ان يتخلى ويجامع فيفضي الى السماء وقيل كان الرجل من الكفار
يدخل بيته ويرخي ستره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال
السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا
منه اي من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
عليه ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قيل انها نزلت في طائفة من المشركين
قالوا ان ارخينا علينا ستورنا واستغشينا ثيابا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم
الا حين يستغشون ثيابهم اي ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم تعالى
ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم اي انه لا تفاوت في علمه تعالى
بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاخفاء انه تعالى عليم
بذات الصدور اي بالقلوب واحوالها ولما اعلم تعالى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون
اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها فذكر تعالى ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن
عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات اسم لكل حيوان دب على وجه الارض
ولا شك ان اقسام الحيوانات وانواعها كثيرة وهي الاجناس التي تكون في البر
والبحر والجبال والله تعالى عالم بكيفية طباعها واعضائها واحوالها واغذيتها
ومساكنها وماويها فمنها ومخالفها فالاله المدبر لاطباق السموات والارض
والطبايع والحيوانات والنبات كيف لا يكون عالما باحوالها روي ان موسى عليه
السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله ان يضرب
عصاه على صخرة فانشقت وخرج صخرة ثانية ثم ضرب عصاه عليها فانشقت
وخرج منها صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت فخرج منها دودة
كالذرة وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عن سمع موسى
عليه السلام فسمع ان الدودة كانت تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي
ويعرف كلامي ويذكرني ولا ينساني فان قيل ان كلمة على للوجوب فيدل
على ان ايصال الرزق الى الدابة واجب على الله تعالى اجيب بانه تعالى انما
اتى بذلك تحقيقا لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وحملا على التوكل
فيه وفي هذه الاية دليل على ان الرزق قد يكون حراما لانه ثبت ان ايصال الرزق
الى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخل به ثم قد نرى
ان انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى ما اوصل

Copyright © King Saud University